آلام الصليب ومجده

محاكمات يسوع

متى ٢٦: ٥٧ إلى ٢٧: ٣١؛ مرقس ١٤: ٥٣ إلى ١٥: ٢٠؛
لوقا ٢٢: ٥٤ إلى ٢٣: ٢٥؛ يوحنا ١٨: ١٢ إلى ١٩: ١٦

«لأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُورًا، وَلَمْ تَتَّفِقْ شَهَادَاتُهُمْ» (مرقس ١٤: ٥٦).

بقلم: هيغو مكورد

كان صلب المسيح شيء مخيف إلى درجة اننا اصبحنا نميل إلى التغاضي عن أو نسيان بعض الأحداث المخزية التي سبقته. المحاكمات التي مر بها يسوع لم تكن عادلة من بدايتها إلى نهايتها! تم معاملته بطريقة فاضحة وشريرة لم يتوقعها الشيطان نفسه! حتى الشيطان نفسه لا يقدر أن يضبط الخطيئة!

لا بد أن وقت محاكماته ذاك كان أدنى لحظات التاريخ. خانه يهوذا وأنكره بطرس وهرب عشرة رسل ليختبئوا، وحكم أربعة حكام (حنان وقيافا وبيلاطس وهيرودس) على «الديان»، وأصبح السنهدريم المحترم زمرة تقتل بدون محاكمة عادلة. اتحدت المدينة المقدسة (أورشليم) مع مدينة القانون (روما) لتقديم أكبر مهزلة قانونية في التاريخ.

الشخص الوحيد الذي كان يملك السيطرة هو يسوع (يوحنا ١٠: ١٧ و١٨؛ ١٩: ١٠ و١١). اختار عن قصد أن يذهب إلى أورشليم (لوقا ٩: ٥١). لقد أتت ساعته (يوحنا ١٧). أجبر أعداءه على عمل شيء بالحث على إلقاء القبض عليه وتسهيله. هل نرى هذا؟

يتم التقليل من قيمة المسيح في ايامنا هذه إلى يسوع العزيز والرقيق واللطيف. كلا! بل هو «رجل بين الرجال»، وليس شخصية ضعيفة ممجدة. لقد تحدى كل من إبليس والتَمَسُّك بالمعتقدات اليهودية والعالم - وانتصر. لم يتراجع أبداً أمام أي شخص!

كانت **يهودية** (أورشليم) قد أفلست إخلاقياً وروحياً. إذ نرى الإنسان في أسوأ حالاته، ونرى الله أيضاً في قمة كماليته. هذا هو مجد النعمة. لم يتسلل يسوع أبداً إلى مدينة ولم يختبيء في مخبأ ما. طهر الهيكل علانية (متى ٢١: ١٢ و١٣؛ مرقس ١١: ١٥-١٧؛ لوقا ١٩: ٤٥ و٤٦). كان اليهود قد انغمسوا جداً في الفساد بحيث حولوا الهيكل إلى مزاد علني للبهائم. يسوع وحده هو الذي وضع حداً لذلك. يا للشجاعة! ويا للقدرة! علم في مدينة أورشليم «أمثال عن الدينونة». ليست هناك مزايدة عندما يتعلق الأمر بيسوع - إما تقبله أم تضعه على الصليب! لم يقل أعداءه أبداً: «وبخوه»، بل قالوا: «اقتلوه!».

قادة اليهود «فقدوا صوابهم خوفاً» من يسوع! لا يمكن إنكار معجزاته. كانت لأورشليم نوايا عدوانية ولم تتعاطف مع حقيقة يسوع. لم يملك قادة الدين السيطرة عليه ولا على خدمته التبشيرية.

لم يرغب أحد أن تكون هناك أعمال شغب خلال الفصح. لو كان اليهود قد حاولوا قتل يسوع خلال العيد، لكانوا قد خططوا لذلك ولِمَا انتظروا حتى ليلة

الخميس لتطبيق تلك الخطط. هاهو يهوذا يدخل الى المسرح. كان يهوذا قد سمع يسوع يتنبأ بموته إذ كان معه ويستمع إلى تعليمه في أورشليم. فظن انه قد يتاجر بذلك.

تنبوء يسوع بموته كان خبراً ساراً لأعداءه بمفهوم ما، ولكن الشك الذي أحدثه خلال العيد جعلهم يذعرون. لم يخافوا من الصيادين ولا من الآخرين الذين كانوا تلاميذه، ولكنهم لم يقللوا من تقديره. قال الفريسيون: ««انْظُرُوا! ... هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!» (يوحنا ١٢: ١٩). قيامة لعازر من الموت ألزمت موت المسيح في نظر اليهود غير المؤمنين (يوحنا ١١). خافوا أن يسوع سيقنع العالم كله!

كان ينبغي لمثل هذا الحق الذي قدمه يسوع والمعجزات التي صنعها أن ترعب الخطاة! لقد أعطى الله لسكان أورشليم كل فرصة ليتوبوا، ولكنهم لم يقبلوا الإثبات الواضح. كان قادة الدين سيفقدون ليست مناصبهم فحسب، بل أيضاً مصدر

كسبهم المالي بسبب يسوع (يوحنا ١١: ٤٧ و٤٨). لا عجب أن قيافا قال انه يجب أن يموت يسوع (يوحنا ١١: ٤٩ و٥٠)! قد تقول: «ولكن كان اليهود يتوقعون مجيء المسيا». نعم ولا. تكلموا عن مجيئه واستغلوه ... ولكن المسيا الذي أرسله الله لهم لم يكن من النوع الذي يتوقعونه. عرفوا انه «يعطل أعمالهم» الكبرياء او السلطة يفعلان أشياء رديئة جداً. المتكبرون لا يتخلون عن السلطة. بل يرفضون الحق ويعارضون الحق ويحاولون تشويه الحق. إذ لم يكن اليهود يملكون السيطرة على أنفسهم قالوا أن يسوع كان «مذنباً». أما بيلاطس فوجده «غير مذنب» (يوحنا ١٨: ٣٨).

من بين الأشياء غير القانونية الواضحة عند محاكمات يسوع هي انتهاكات للتشريفات القانونية (البروتوكولات) التالية:

- لا يمكن التصريح بإثبات التهمة على المتهم أو برائته قبل بداية المحاكمة.
- لا يملك المسؤولون السلطة لإلقاء القبض ليلاً إلا في حالة ضبط الشخص وهو يرتب لجريمة ما. لا ينبغي أن يلعب القضاة دوراً في عملية القبض.
- لا يمكن إنعقاد محاكمات الاعدام ليلاً.
- لا يمكن براءة المتهم في يوم واحد؛ وأيضاً الحكم بالإدانة لا يتم في يوم واحد، بل يحتاج إلى التأمل فيه ليلاً.
- لم يكن الصلب معروفاً في قانون اليهود.
- على القضاة أن يدافعوا عن المتهم كما يوجهون له الاتهام أيضاً.
- لم تكن الإشاعة مقبولة كإثبات في قانون اليهود.
- الإثبات الظرفي لم يوثق به؛ كان قانون اليهود يتطلب شاهدين أو ثلاثة شهود {لإثبات حدوث الجريمة}.
- كان على أعضاء السنهدريم الأقل سناً أن يصوتوا أولاً.
- كان يجب تعيين أعضاء السنهدريم للدفاع عن المتهم.
- لم تكن للسنهدريم سلطة لتقديم التهم ضد أحد، بل كان عملهم يشمل إجراء المحاكمة فقط.
- كانت جلسات المحاكم ممنوعة في أيام الاعياد وعشية السبت.
- لا يمكن للمتهم أن يشهد ضد نفسه.
- لا ينبغي لرئيس الكهنة أن يمزق ثيابه.

اعتبر أسوأ الناس انفسهم كأفضل الناس. مخيف هو التفكير في الكيفية التي يكون بها الناس فظيعيين في إرتكاب الخطيئة !

المحاكمات اليهودية

إن لم يكن القبض على يسوع جديراً بالازدراء لكان مضحكاً. كان أعداء يسوع يؤمنون بقوته أكثر مما يؤمن بها الرسل. أرسلوا جماعة لا يعرفون القانون (يقدر عددهم بستمائة على الأقل) للقبض على رجل واحد! يتضح بجلاء أن يسوع ساعدهم في القبض عليه.

كانوا يأخذون يسوع ذهاباً وايابا بين كبار القضاة. أخذوه أولاً إلى حنان. وكان هذا رئيس كهنة تم تكريسه

مدى الحياة، ولكن فساده أقصاه عن منصبه. مع انه لم يشكل ذلك المنصب بعد، إلا انه ظل يملك سلطاناً.

أرسله حنان إلى قيافا. وهذا يوضح أن يسوع لم يُحاكم لأسباب دينية، بل بسبب السياسات الفاسدة. كان قيافا زوج ابنة حنان هو رئيس الكهنة في تلك السنة. كان حنان مقتدراً، يخافه الناس، ويبغضونه.لم يكن قيافا شيئاً بالنسبة له إلا «ولد تائه» تحت سيطرته التامة.

إذ كان قادة اليهود متكبرين ومعجبين بذواتهم فقد فقدوا رباطة الجأش. بصقوا على يسوع بطريقة بربرية ولطموه ولكموه وشتموه وعيروه بنبوءة وهو معصوب العينين (متى ٢٦: ٦٧ و٦٨؛ مرقس ١٤: ٦٥؛ لوقا ٢٢: ٦٣-٦٥). قد نحتمل الشتائم والصفعات، ولكن هل نحتمل البصق؟ من الذي يسمح بالبصق؟ كيف سمح به الله؟ كان يسوع قد تنبأ بالبصق عليه (مرقس ١٠: ٣٤؛ لوقا ١٨: ٣٢). وقد تممت تلك النبوءة. بصق قادة اليهود في وجهه والعسكر الرومان أيضاً بصقوا عليه (متى ٢٦: ٦٧؛ ٢٧: ٣٠؛ مرقس ١٥: ١٩). هذا منتهى الإشمئزاز والتقزز! تحتمل نعمة الله كل شيء حتى البصق!

كان بطرس يدفيء نفسه بـ«نار إبليس» (أنظر مرقس ١٤: ٥٤؛ لوقا ٢٢: ٥٥؛ يوحنا ١٨: ١٨ و٢٥). وبهذا جعل نفسه أقرب إلى العدو مما هو إلى المسيح. انتبه دائماً أين تذهب ومع من تقضي وقتك.

أنكر بطرس يسوع ثلاث مرات متتالية خلال وقت قصير. ثم صاح الديك فابتهج الشيطان. أُخِذَ يسوع من محاكمة إلى محاكمة أخرى. وبينما كان يأخذونه من قيافا إلى السنهدريم، مروا بالمكان الذي كان به بطرس. والتفت يسوع ونظر إلى بطرس، فانسحق قلب بطرس. ثم خرج وبكى بسبب ما حدث (لوقا ٢٢: ٦١ و٦٢).

تم مدح المحكمة العليا عند اليهود مرة أخرى على انها السنهدريم العظيم. وكان يتكون من واحد وسبعين من الأعضاء المهيبين. لقد انتهت مكانتهم السامية في ذلك اليوم. إذ يأس قيافا أجبر يسوع على أن يشهد ضد نفسه تحت القسم (متى ٢٦: ٦٢-٦٤). لم يقبل يسوع تهمتهم عليه فحسب، بل أعطاهم أيضاً إثبات آخر ليستخدموه ضده، إذ أضاف قائلاً: «... وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ» (متى ٢٦: ٦٤). وبهذا أرسله اليهود إلى بيلاطس!

لا شك أن قادة اليهود كانوا وراء السؤال الذي سأل به بيلاطس يسوع: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» {متى ٢٧: ١١}. إذا لم يكونوا قد اتهموا يسوع بهذه التهمة كيف عرف بيلاطس حتى يطرح هذا السؤال؟ يدل هذا على أن شخص ما اتصل ببيلاطس في وقت سابق من تلك الليلة. من الذي كان باستطاعته أن يتصل ببيلاطس خلال الليل؟ ربما قيافا رئيس الكهنة وحده هو الذي فعل ذلك. وأيضاً كيف جاء لزوجة بيلاطس ذلك الحلم المزعج (متى ٢٧: ١٩)؟ قد يكون هذا هو السبب الذي جعل قادة اليهود يشعرون بالإهانة عليهم عندما فتح بيلاطس هذه القضية مرة أخرى. ظن اليهود انهم كانوا قد توصلوا إلى إتفاق!

المحاكمات الرومانية

كان بيلاطس البنطي يكره اليهود، وكانوا هم يكرهونه بالمثل. لقد وجد كل من الطرفين انهما مجبورَيْن على قبول بعضهما الآخر، وقد يفعل كل منهما ما بوسعه للفوز بأي جدل قد ينشب بينهما. كان على بيلاطس أن يحترس جداً، لأن اليهود كانوا يطلبون سفك الدم، وبيلاطس يريد حماية منصبه السياسي.

بدل اليهود تهمة التجديف بتهمة الخيانة السياسية. حاول بيلاطس أن لا يكون جزء من عدم العدالة هذه. ولكن بلا جدوى. أراد للآخرين أن يقضوا في هذا الأمر ولكنهم لم يقبلوا ذلك. أعلن براءة يسوع مراراً وتكراراً. ومن شدة اليأس أرسل؛ يسوع إلى هيرودس.

لم يعمل يسوع بمطلب هيرودس لصنع معجزة. كل ما فعله هيرودس بيسوع هو إرساله مرة أخرى إلى بيلاطس. الشيء الوحيد الذي تم تحقيقه بتلك الإجراءات هو أن بيلاطس وهيرودس أصبحا صديقين (لوقا ٢٣: ١٢).

تعجب بيلاطس بهدوء يسوع. فحاول أن يطلقه مستخدماً باراباس كإحسان منه لليهود. ولكنهم لم يقبلوا ذلك. بل اختاروا الإفراج عن باراباس القاتل!

سيختار الشعب باراباس دائماً.

نجح اليهود ومع ذلك خسروا. قالوا: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرَ!» (يوحنا ١٩: ١٥). أنكروا الله من أجل قيصر. أخضعوا لذاك الذي كانوا يبغضون، وصاحوا: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا» (متى ٢٧: ٢٥).

سمح بيلاطس بصلب يسوع «البريء»! غسل بيلاطس يديه؛ أما يسوع فكان قد غسل أرجل الآخرين. يا للفرق!

خضع بيلاطس لإرادة اليهود. وكانت تلك جريمة نكراء! أرجو ألا تكون متحيزاً مثل اليهود ولا مضحك مثل هيرودس ولا ضعيف مثل بيلاطس. قال المؤرخ يوسيبيوس أن بيلاطس انتحر. دمر الله أورشليم (مستخدماً تيطس وجيش روما في ما بين ٦٧-٧٠م.). أرجو ألا تعمل فوضى مع الله.

الصليب ... ليس هناك طريق آخر سواه!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩